Metaphor and analysis of educational discourse: the National Charter for Education and Training as a model

الاستعارة وتحليل الخطاب التربوي: الميثاق الوطني للتربية والتكوين أنموذجا

الباحث: لطيفة العسري، كلية النقد الأدبي والبلاغة، جامعة القاضي عياض، المغرب.

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٤/٨/١٩ تاريخ القبول: ٢٠٢٤ /٨/٢٥ تاريخ النشر: ٢٠٢٤/٩/١٥

الملخص:

تحدث هذا المقال على أن هذا الخطاب يستحضر الجانب الاقتصادي، وذلك راجع لأهميته في وضع أي برنامج. سنحاول مقاربة هذا الخطاب، من خلال التركيز على الاستعارات التصورية الواردة فيه، بالاعتماد على التصور المعرفي التجريبي للاستعارة. على اعتبار أن الاستعارة اكتسحت جل الخطابات بما فيها الخطاب التربوي الذي يفترض فيه أن يكون خطابا مباشرا تقريريا تربويا، وأيدولوجيا. وهذا الحضور هو الذي منحه القوة والفاعلية والتأثير، إذ استعان المشرع بالاستعارة لما لها من مزايا في كشف الخطاب ومنحه دلالات مضاعفة. فما هي إذا هذه الاستعارات التصورية التي تضمنها الميثاق، والتي تحدد تصوره للإصلاح التربوي الذي يريد إرساءه؟ وكيف استطاعت أن تعطيه القوة والفاعلية والتأثير؟ وما هي الدلالات التي يحملها الميثاق؟

الكلمات المفتاحية: الاستعارة، تحليل الخطاب التربوي: الميثاق الوطني للتربية، والتكوين أنموذجا.

Abstract

This article discusses that this discourse evokes the economic aspect, due to its importance in developing any program. We will try to approach this discourse by focusing on the conceptual metaphors contained in it, relying on the experimental cognitive conception of metaphor. Considering that metaphor has swept most discourses, including educational discourse, which is supposed to be a direct, educational, and ideological discourse. This presence is what gave it strength, effectiveness, and influence, as the legislator used metaphor for its advantages in revealing the discourse and giving it double meanings. So what are these conceptual metaphors included in the charter, which determine his vision of the educational reform he wants to establish? How were they able to give it strength, effectiveness, and influence? What are the meanings that the charter carries?.

Keywords: Metaphor, Educational Discourse Analysis: The National Charter for Education and Training as a Model.

مقدمة:

تعددت المقاربات التي قد يلجأ إليها الباحث، في سبيل تفكيك الخطاب أيا كان نوعه، والكشف عن مضامينه وغاياته، والخطاب التربوي منه على وجه الخصوص. ولعل المقاربة البلاغية إحدى أهم الطرق المسعفة على ذلك. ومن بين الخطابات التربوية التي خلقت نقاشا وجدالا بين الباحثين والمهتمين، وهو الميثاق الوطني للتربية والتكوين، الذي شكل لبنة أساسية في طريق النهوض والرقي بقطاع التربية والتعليم ببلادنا.

سنعمد إلى مقاربة هذه الاستعارات في الميثاق، والإبانة عن بلاغته. هذا وقد قسمت البحث إلى مبحثين تصدرهما مدخل تناولنا فيه مفهوم الخطاب، والخطاب التربوي، والميثاق. كما حددنا مفهوم الاستعارة وأنواعها في المبحث الأول، وحللنا في المبحث الثاني الاستعارات التصورية في الميثاق، وخلصنا إلى جملة من النتائج.

المحور الأول:

مدخل: تحديدات مفهومية

١ – الخطاب: لغة واصطلاحا

أ– الخطاب لغة:

جاء في لسان العرب في مادة (خطب): "خطب: الخَطبُ: الشأن أو الأمر، ضغُر أو عظُم. خطب فلان إلى فلان فخطبه أو أخطبه أي أجابه، الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا فهما يتخاطبان."[١]

وورد في المعجم الوسيط: (خاطبة) مُخاطبة وخِطابا كالَمَه وحادثه وخاطبه: وجه إليه كلاما، ويقال: خاطبه في الأمر: حدَّثه بشأنه تخاطبا: تكالما وتحادثا. الخطاب: الكلام. والخطاب: الرسالة"[٢].

نلاحظ أن التعريف الأول لابن منظور لكلمة خطاب هو الكلام والمحادثة. كما أن المعنى اللغوي للخطاب في المعجم الوسيط يرتبط بالمحادثة، وبتداول الكلام ومراجعته. وهنا نستحضر الجانب التواصلي الذي يقتضي حضور أطراف العملية التواصلية من مرسل ومرسل إليه ورسالة.

ب– الخطاب اصطلاحا:

تداولت مصطلح الخطاب مجموعة من التخصصات اللسانية والنقدية والأدبية حتى شاع استخدام المصطلح في حقول عدة: كعلم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي والفلسفة، وبدأت معاني الخطاب تتشعب منذ الستينات من القرن العشرين، وارتبط المفهوم المعرفي والفلسفي للخطاب بكتابات ميشيل فوكوMichel Foucoult بحيث احتلت تعريفاته أهمية كبرى في النظرية الثقافية بصفة عامة.

فقد عرف الخطاب قائلا: سنسمي خطابا مجموعة من الأقوال بوصفها تنتمي إلى التكوين الخطابي ذاته،(.... الخطاب) يتكون من عدد محدود من الأقوال يمكن أن تعين لها مجموعة من شروط الوجود فالخطاب بهذا المعنى ليس شكلا

---

[١]- ابن منظور، لسان العرب، مادة (خ ط ب) دار الكتب العلمية ، لبنان ط1، المجلد الخامس، ص: 98

[٢]- إبراهيم انيس وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، 2004، ص: 243.

مثاليا متعاليا على الزمن، فهو في كل أجزائه تاريخي... وهو يطرح مشكلة حدوده الخاصة وإنقطاعاته وتحولاته وصيغه الزمنية"[٣].

نلاحظ أن الخطاب، في تصور ميشال فوكو شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تظهر بها طريقة إنتاج الكلام بوصفه خطابا ينطوي على الهيمنة، ويدل ذلك على أن إنتاج الخطاب وتوزيعه ليس حرا أو بريئا كما قد يبدو من ظاهره"[٤].

ويعرف هاريسHarris الخطاب بأنه "ملفوظ طويل، أو متتالية من الجمل تكوّن مجموعة منغلقة يمكن خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل نجعلنا نظل في مجال لساني محض"[٥] .

أما اللساني الفرنسي إيميل بنفنيست Emille Benveniste (١٩٠٢-١٩٧٦) فيرى أن" كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا، وعند الأول هدف التأثير على الثاني"[٦] ذلك أن بنفنيست أقام مفهوم التلفظ (Enonciation) مقابل الملفوظ، لأن موضوع الدراسة هو التلفظ وليس الملفوظ كما فعل هاريس الذي وقف عند حدود الملفوظ Enoncé.

وأورد بارتيك شارودو Patrick Chraudeau ودومنيك منغونو Dominioque Maingueuneau تعاريف متعددة للخطاب بمقابلته مصطلح الخطاب بمصطلحات أخرى وهي:

- **خطاب مقابل جملة – خطاب مقابل اللسان – خطاب مقابل نص – خطاب مقابل ملفوظ.**

٢- الخطاب التربوي: التربية: لغة واصطلاحا

أ- لغة:

لغة: أثناء بحثنا عن معنى التربية لغة نجد ابن منظور في لسان العرب يقول في مادة (ربا): ربا الشيء يربو رُبوًّا أورِباء: زاد ونما، وأربيته نَمَّيْتُه.. وقد ربوت في حِجره رُبُوا و رَبوا ... وربت رباء، وربيا كلاهما نشأتُ فيهم، الأصمعي: رَبوْتُ في بني فلان أرْبُوا نشأت فيهم، ورَبّيْتُ فلانا أرَبيه تربية وَرَبَّبْتُه بمعنى واحد، الجوهري ربيته تربية أو غذوته قال: هذا لكل ما ينمى كالولد والزرع ونحوه"[٧].

نستنتج إذن أن كلمة تربية تفيد الزيادة والنماء والتنشئة. التربية إذن هي عملية تنمية وظائف الإنسان الجسمية، والخلقية، والعقلية، حتى تكتمل من خلال التثقيف، والتدريب، وتغذية الجسم بما يحتاجه من أكل أو مشرب ليشب قويا قادرا على مواجهة تكاليف الحياة ومشقاتها.

---

[٣]- ماريان يورغنسن، ولويس فيليس، تحليل الخطاب: النظرية والمنهج، ترجمة شوقي بوعناني، هيئة البحرين والآثار، المنامة، الطبعة الأولى، سنة 2019، ص: 36.

[٤]- ميجان الرويلي، وسعد اليازغي، ثقافة الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي للثقافة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، م2002، ص: 38.

* هاريس (1969-1992) هو أول لساني حاول توسيع حدود موضوع البحث اللساني بجعله يتعدى الجملة إلى الخطاب.

[٥]- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن- السرد- التبئير) المركز الثقافي العربي للثقافة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، 1997 م، ص: 17.

[٦]- سعيد يقطين،تحليل الخطاب الروائي، ص: 419.

* التلفظ: معناه الفعل الذاتي في إستعمال اللغة، وهو تعريف للخطاب عند منفنيست ينطوي على بعد تداولي واضح لأنه يتحدث عن التأثير والقصدية.

[٧]- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول، ص: 305-307، بتصرف

ب- إصطلاحا:

ورد في المعجم الإشتقاقي في كلمة تربية Education مشتقة من كلمتين educare وeducere: فالأولى تدل على فعل غذى، والثانية تدل على أخرج من، قاد إلى، ومعنى ذلك أن التربية غذاء مادي يقود الفرد إلى السمو والنمو".[٨]

ويحصر هربارتHerbart التربية في تكوين الفرد لذاته، بأن نثير لديه تعددية الإهتمامات[٩].

لكن هذا التعريف يلغي المجتمع من حيز التربية ويجعله يعطي أهمية للفرد وقدراته فقط.

إلا أن دور كايم يعرفها: بأنها العملية التي تمارس الاجيال على الأجيال التي لم تنضج بعد النضج اللازم للحياة الاجتماعية...، وظيفتها إثارة عدد من الحالات الجسمية والفكرية والأخلاقية التي يتطلبها منه المجتمع السياسي في مجمله، والوسط الاجتماعي الذي يهيأ بوجه خاص.

نلاحظ أن هذا التعريف يربط مصطلح التربية بربط الفرد بمحيطه[١٠] سواء في بعده العام أم الخاص.

لكن الإتجاه الإنساني يعيب على التعاريف السابقة غياب عنصر مركزي وأساسي في التربية وهو الإنسان "بتنمية قدراته الجسيمة والعقلية، وكذلك عواطفه الإجتماعية والجمالية والأخلاقية بهدف تحقيق مهمته كإنسان جهد المستطاع. إن التربية كذلك نتيجة هذه العملية"[١١].

جاء مصطلح التربية بمعنى التنشئة، وتقوم على تفاعل الفرد مع مجتمعه، واكتسابه سلوكا معايير وإتجاهات مناسبة لكي يقوم بأدوار اجتماعية وفق مرحلة نموه، وتهذيب وتأديب، وتقويم تحسين سلوكه طباعه إلى الأفضل"[١٢].

نلاحظ أن هذه الدلالات التي يحملها معنى التربية تصب في وعاء واحد، وهو تنمية الجوانب المختلفة لشخصية الإنسان عن طريق التدريب والتثقيف والتهذيب والتعليم والممارسة قصد إعداد إنسان صالح.

ت- الخطاب التربوي:

يبدو أن تعريف التربية إشكال ناجم عن طبيعة التربية ذاتها، بوصفها عملية شمولية تطال الفرد ونموه وطبيعة المجتمع وتحولاته. وهذا يستدعي منا مقاربة كلمة تربية "من مجالات مختلفة.

يرى روبول أن الأيدلوجيا هي المكان المفضل للغة، والخطاب يعد أنسب الأوضاع لممارسة الأيدلوجيا، والتي هي منطلقة من السلطة. والخطاب التربوي "يختلف حسب من يصدر الخطاب والجهة المسؤولة عنه إذ تعطي كل جهة المشروعية للخطاب الصادر عنها..... فخطاب الأب التربوي يختلف عن خطاب المعلم، والذي هو بدوره يختلف عن الخطاب اساسي بإعتباره أنه مربي[١٣]."

---

[٨]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب- مقاربة لغوية تداولية، ص: 38

[٩]- نفسه، ص: 39

[١٠]-نفسه، ص: 39

[١١]عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص: ٤٠

[١٢]حميدة بختي ، الخطاب التربوي بين الحضور والغياب في المدرسة الجزائرية، مجلة المقري للدراسات اللغوية والنظرية والتطبيقية، المجلد ٤، العدد ١، ٢٠٠١م، ص: ٨٤ بتصرف.

[١٣]أوليفي روبول، لغة التربية، تحلي الخطاب التربوي، ترجمة عمر أوكان، افريقيا، الرشق، المغرب، سنة ٢٠٠٢، ص: ١٣.

كما قدم ثلاث مسلمات تتعلق بالخطاب التربوي:

- يعتبر الخطاب التربوي خطابا بيداغوجيا يظهر من خلال الأفكار التي يصدرها المربي سواء كانت في الكيفية التي يقدم بها الخطاب أو عن التبريرات التي يستخدمها.
- انتماء الخطابات التربوي في فترة محددة إلى صراع مشترك رغم تنوعها وتعارضها في بعض الأحيان.
- عدم وجود نمط واحد وموحد للخطاب.

ج- أنواع الخطاب التربوي:

يقسم الباحثون الخطاب التربوي من حيث طبيعته وتوجهاته المجتمعية والسياسية والايدولوجية إلى اقسام منها:

- **الخطاب الرسمي، و النقدي، والوظيفي، والمجدد، والإنساني.**

٣- تحديد مفهوم الميثاق الوطني وسياقه.

أ- تعريف الميثاق:

لغة: الموثق: الميثاق. وفي حديث ذي المشعار: لنا من ذلك ما سلّموا بالميثاق والأمانة أي أنهم مأمونون على صدقات أموالهم، بما أخذ عليهم من الميثاق فلا يبعث عليهم مصدق ولا عاشر. والمواثقة: المعاهدة، ومنه قوله تعالى: " وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ" [١٤]. وفي حديث كعب بن مالك: ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليم وسلم ليلة العقبة حين توثقنا على الإسلام أي تحالفنا وتعاهدنا. التواثق تفاعل منه. والميثاق، العهد، مفعال من الوِثاق، هو في الأصل حبل أو قيد يُشَدُّ به الأسير والدّابة.[١٥]"

نستخلص من هذا التعريف أن الميثاق هو العهد والمعاهدة والتحالف بين طرفين أو أكثر بشكل اتفاقي صريح بعيد عن الإخلال.

- **اصطلاحا:** هو وثيقة مكتوبة أو شفوية، تفيد التعاهد والتحالف بين طرفين او مجموعة من الأطراف، تحدد الإطار العام وكيفية الإشتغال، وهي تشمل مجموعة من آليات التكوين والتأطير والتدبير ،وهو منظومة اصلاحية تروم خلف مؤسسة تعليمية، مؤهلة قادرة على المنافسة والإنفتاح على المحيط السوسيو اقتصادي. ومواكبة كل المستجدات والتأقلم مع كل التطورات العلمية والتكنولوجية التي تفرضها الساحة، وبالتالي تحقيق الجودة.

إن المتتبع للوضعية التعليمية في بلادنا منذ الإستقلال إلى اليوم، يلاحظ أنها مرت بمجموعة من المحطات الإصلاحية التربوية، ركزت في عمومها على التعريب، والمغربة، والتعميم، والمجانية. إلا أن جميع هذه الإصلاحات لم ترق إلى الغايات المنشودة، إذا تميزت بالتعثر والتذبذب مما خلق ازمة تعليمية خانقة، تجلت في تدني المستوى التعليمي، والبطالة بين أوساط الشباب حاملي الشهادات. استدعى هذا الوضع تبني إصلاح هيكلي، فتشكلت لجنة لوضع ميثاق انبثق عنه مشروع الميثاق الوطني التربية والتكوين. أصدرته لجنة تكونت من قطاع التعليم العالي ومهندسين، ومحامين، ومديري الشركات، والمدارس الحرة، وأساتذة مدارس التكوين، بما فيهم أساتذة الثانوي، ومفتشين. وقد تضمن الميثاق قسمين يحتويان على مائة

[١٤]- سورة المائدة، الآية: ٧.

[١٥]- ابن منظور، لسان العرب، مجلد ١٠، أدب الحوزة، قم، إيران، ١٤٠٥ هـ، ص: ٣٧١.

وسبعة وسبعين مادة، شمل القسم الأول منه المبادئ الأساسية، بما فيها المرتكزات، والغايات الكبرى، وحقوق وواجبات الافراد والجماعات، إضافة إلى التعبئة الوطنية لإنجاح الإصلاح. أما القسم الثاني فتكون من ست مجالات للتجديد وتسعة عشر دعامة.

مبحث أول: مفهوم الإستعارة وأنواعها

لقد حضيت الإستعارة بإهتمام كبير قديما وحديث سواء في السياق العربي أو الغربي، وتنامى هذا الإهتمام في الآونة الأخيرة "وهذا ليس غريبا ذلك أن الاستعارة، لم تعد حكرا على مجالي الأدب والبلاغة، بل أصبحت موضوع إهتمام علماء النفس والاجتماع والأنثروبولوجيين والمناطقة، والسيمائيين، والتشكيليين، مؤرخي الفلسفة، والعلوم الدقيقة. ولعل ذلك راجع إلى كونها تعد جزءا من البنية التصورية للإنسان، إذ من خلالها يدرك الفرد العالم، ويتفاعل معه. إذ يحيا بها على حد تعبير لايكوف وجونسون."[١٦]

وهذا الدور الفعال الذي أصبحت تشغله في تشكيل التواصل الناجح بين الناس أدى إلى ظهور نظريات متضاربة. ويعد أرسطو أو ل فيلسوف اهتم بالدرس البلاغي في كتابيه: "فن الشعر" و "الخطابة". وهو أول من تناولها في الفكر البلاغي الغربي والذي يقوم على النظرية الاستبدالية.

وظل هذا المفهوم سائدا حتى حدود القرن العشرين. حيث ظهرت نظريات آخرى للاستعارة أبزرها:

- **نظرية النقل والإستبدال:** أي استبدال لفظ لغوي بلفظ لغوي آخر على أساس المشابهة. وهذه النزعة الموضوعية التقليدية الكلاسيكية لدى أرسطو تقر بوجود طرف واحد من طرفي الإستعارة وغياب الآخر.
- **نظرية التركيب والإستبدال:** وقد مثلها جاكبسون ١٨٩٦ – ١٩٨٢ الذي إنطلق من دراسات دوسوسير فيي بحثه الموسوم "بالإستعارة والكناية"، وإذ تقوم الإستعارة عنده على محوري التركيب والإستبدال أي إحلال الكلمة محل أخرى تؤدي نفس المعنى، وعليه فإن الإستعارة تكون عمومية، ترابطية في ميزاتها[١٧]، وهو الذي كان له الفضل في نقل ثنائية التركيب والإستبدال من الإطار النظري اللغوي الصرف، إلى رحاب النص الواسعة، ولعل من أكثر النظريات إستثمارا لها الأسلوبية. تحدد موضوعها في الإشتغال على إسقاط محور الإختيار على محور التأليف، ولقد سبق التراث البلاغي العربي إلى هذه الثنائية مع نظرية النظم الجرجانية، التي تمكن صاحبها من الإستفادة من الجهود السابقة له.
- **النظرية الدلالية:** إنطلق ميشال لوغرين في كتابه: "الإستعارة والمجاز المرسل" من نظرية جاكبسون في الإستعارة في التفريق بين الإستعارة والمجاز. إذ يرى أن الإستعارة تقوم على علاقة التماثل، أما المجاز المرسل فينهض على علاقة التجاور.[١٨] إن وظيفة الإستعارة عنده ليست تزيينا وتجميلا، أو سد فراغ لغوي، بل دينامية، هدفها الإقناع والتأثير، بواسطة إحداث انفعال شعوري، عاطفي في نفسية المتلقي.[١٩]

---

[١٦] عبد العزيز لحويدق، نظريات الإستعارة في البلاغة الغربية من أريسطو إلى لايكوف ومارك جونسون، الطبعة الأولى، دار كنوز للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٥ م، ص: ٥.

[١٧] ترنس هوكز، البنيوية وعلم الإشارة ت ر، مجيد الماشطه، مراجعة ناصر حلاوي، بغداد: دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٦ ص: ٧١

[١٨] ميشال لوغرين، الإستعارة والمجاز المرسل، تر، حلا صليبا، ط ١، (بيروت – باريس – عويدات ١٩٨٨ م)، ص: ١٤٥.

[١٩] نفسه، ص: ١٤٥.

- **نظرية الإنزياح:** أقام جون كوهن تصوره للإستعارة على مبدأ الإنزياح، وهي القاعدة النظرية التي بنى عليها تصوره للغة الشعرية، فهي إنزياح إستبدالي، وهي لا تتوقف عند المدلول الأول الذي لا يلائم الدلالة، بل تتجاوز إلى المدلول الثاني الذي ينفي الإنزياح بواسطة إستبدال كلمة من الكلمات.[٢٠]
- **النظرية التداولية:** تدرس الإستعارة باعتبارها نشاطا لغويا يستدعي حضور أطراف الخطاب: المرسل والمستقبل والمقام، في ضوء المعينات التواصلية الذاتية والسياقية والإحالية، وهي تجاوز للنظرية الموضوعية الأرسطية، وتجاوز كذلك للنظرية الدلالية التي لم تتعد بعدها الدلالي في تفسيرها للعلامة الإستعارية، وخير ممثلها جون سورل. تجاوزت النظرية التداولية الرؤية التركيبية والدلالية للإستعارة لتقرر أنها تلفظ، وفعل كلامي غير مباشر يستعدي حضور المتكلم والمخاطب والسياق في عملية التواصل.
- **النظرية التفاعلية:** يمثلها تشاردز في مؤلفه: "فلسفة البلاغة" وتعد من أهم نظريات الإستعارة وأقربها إلى التطبيق العملي، فهي تتجاوز الإقتصار على كلمة واحدة، لتتبنى منطلقات جديدة قائمة على علاقة تفاعلية بين الإنسان ومحيطه الخارجي قوامها الدينامية. يرى تشاردز أن "الإستعارة تعني وجود فكرتين لشيئين مختلفين يعملان وينتج المعنى نتيجة التفاعل بين الحدين أو الشيئين."[٢١] وقد وصلت هذه النظرية إلى حد النضج مع ماكس بلاك الذي تجاوز الكلمة المفردة إلى الجملة والخطاب في تصوره للإستعارة.
- **النظرة التجريبية المعرفية التفاعلية:** (الإستعارة التصورية)

أحدث ثورة على النظرية الوضعية، التي تقوم على التطابق بين الرموز اللغوية، وعناصر العلامة الخارجي. وقد سيطرت على التفكير البلاغي ردحا من الزمن، وبنت على أنقاضها أسسا جديدة تؤمن بقدرة الإنسان على التفاعل مع محيطه جسميا واجتماعيا وثقافيا، والإستعارة وفق التصور المعرفي التجريبي وسيلة "لتصور شيء من خلال شيء آخر، وظيفتها الأولى الفهم".[٢٢] ومعنى هذا أن "إنبثاق الشرارة الإستعارية مصدره إيرادة فهم تصورات مجردة من خلال تصورات ملموسة متجدرة في نسقنا التجريبي الثقافي".[٢٣] مما أدى إلى اعتبارها جزءا من البنية التصورية للإنسان من خلالها نطل على الواقع لنفهمه، وهي وسيلة معرفية وإدراكية، ذلك أن الألفاظ المجردة لا تفهم على حقيقتها التي وجدت عليها، لكن الإستعارة تجعلها محسوسة ومدركة، مما يسهل فهمها والإحاطة بدلالتها، لتصبح مؤثرة في المتلقي. كما أن وظيفتها الأساس هي الإفهام وتقديم المعرفة وليس التزيين والزخرفة وسنحاول الإبانة عن الإستعارات التصورية في الميثاق بالاعتماد على التصور المعرفي التجريبي.

---

[٢٠] جان كوهن، بنية اللغة الشعرية، تر، محمد الولي ومحمد العماري، (البيضاء : دار توبقال 1986 م)، ص: 110.

[٢١] ريتشاردز، فلسفة البلاغة، تر سعيد الغانمي وناصر حلاوي، ط ٢، المغرب: افريقيا، الشرق، ٢٠٠٢م، ص: ٩١.

[٢٢] لايكوف وجونسون، الإستعارات التي نحيا بها، ص: ٥٦.

[٢٣] عبد العزيز الحويدق، نظريات الإستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان – وسط البلد – ط ١، ٢٠١٥ م، ص: ٢٦٧

فالإستعارة المعرفية التصورية، هي: "نشاط الدهن في عموم مظاهره، يشمل التذكر والتعقل، وحل المسائل والتخيل، والحلم، والتخطيط والإحساس، والشعور، والتبرير، والتكلم والرسم، والرقص وجميع ما يتصورون من الأنشطة الذهنية الحسية العصبية لما له صلة بالذكاء الطبيعي."[٢٤]

فهي بهذا المعنى المحرك الأساس للإنسان في جميع تصرفاته، وهي طريقة في التفكير والتحصيل والإنفعال والعمل. فالتجربة أمر أساسي في هذه النظرية، إذ لا بد للفرد من تجربة شيء ما أولا قبل أن يتحول هذا الشيء إلى تمثلات ذهنية.

مبحث ثان: الإستعارات التصورية الواردة في الميثاق

بني الميثاق على استعارات كبرى شكلت نسقه التصوري، لإكساب الخطاب التربوي أهدافا مرغوبة التحقيق. وقد تتبعنا أثره في هذه الوثيقة التربوية حيث يمكن رصدها كالآتي:

١- **استعارة الميثاق:** وهي الاستعارة التي تظهر منذ الوهلة الأولى في العنوان، وهي من عالم الشرع والقانون، فالميثاق يحيل على التعاقد والتوافق، الذي يأتي بعد مشاورات ونقاشات يتم بموجبها الاتفاق والالتزام. وبما ان المدرسة شأن مجتمعي يقتضي إصلاحها التوافق حول النموذج التربوي المراد إرساؤه، بذلك يصبح هذا الميثاق مرجعا لتقويم ما تحقق من إصلاح.

٢- **استعارة الإصلاح والبناء:** إن غاية وضع هذا الميثاق هو الإصلاح، وهذا اعتراف ضمني أن هناك إختلالات وأزمة في المنظومة، تتطلب تشخيصا لتخطيها. من تم فإن إستعارة الإصلاح والبناء تدل على غاية الميثاق التي هي تصحيح وضع مختل، وتتجلى في عبارات وردة في لفظ "دعامة" حيث وصلت تسعة عشر دعامة في الميثاق، إضافة إلى عبارات أخرى: المرتكزات الثابتة/ الرقي/ الهيكلة/ الرفع/ تدعيم الاشغال/ إقامة تعاون/ الارتقاء بالجامعة/ ممرات (المناهج الدراسية)/ جسور (الاسلاك التعليمية)/ جاء في الميثاق "وضع جسور تسمح لهم بالالتحاق بهذه الاسلاك".[٢٥] فاستعمال مصطلح جسور في مجال التعليم يدل على الربط بين مختلف الاسلاك التعليمية، فالإنتقال من السلك الإبتدائي، إلى الإعدادي إلى الثانوي، ليست بالأمر السهل بل يجب على المتعلم أن يكتسب مؤهلات معرفية، وعملية تمكنه من عبور الجسر. كما أن استعمال كلمة بناء في التعليم لا يمكن أن يكون بناءه كاملا إلا بتظافر جهود المجتمع المدني والأسرة والفرد وكل المكونات الأخرى.

٣- **استعارة الإقتصاد:** هيمن البعد الاقتصادي والتنموي في الميثاق، ومن العبارات الدالة على ذلك: الإنتاج النافع/ قدرة المغرب التنافسية/ النمو الاقتصادي/٨ تزويد المجتمع بالكفاءات/ العاملين الصالحين/ إنتاجيتها/ المردودية/ الاستثمار/ ترشيد تدبير الموارد/ الشركاء/ ثقافة المقاولة والتدبير/ إنشاء مقاولات/ ربط التعليم بالمحيط الاقتصادي/ تجهيزات أساسية/ الدعم المالي/ النسيج الاقتصادي/ الوحدات الانتاجية.... فالميثاق يتصور أن جودة التعليم تستهدف إعداد مواطن قادر على الإندماج في محيطه السوسيو اقتصادي قصد تحقيق التنمية، بشرط اضطلاع المدرسة بدورها الريادي في تزويد كل القطاعات بالأطر المؤهلة، ولا يتم ذلك الا بتوفير شروط نجاح المدرسة المغربية، على مستوى البنيات والمناهج والأطر، دائما مع ربط المدرسة بسوق الشغل.

---

[٢٤] ملامح العرفانية وعلاقتها بالتداولية الغرايسية: فليسي أمين، ضمن مجلة "الممارسات اللغوية"، العدد ٢٧، سنة ٢٠١٤م، ص: ١٣٧.

[٢٥] الميثاق الوطني للتربية والتكوين، ص: 16.

ولهذه الهيمنة دلالات عميقة تتجلى في ربط الإصلاح بالمدرسة المغربية بمجال الإقتصاد، من حيث كون نجاح أي مشروع مرتبط بتوفير شروطه، وعلى رأسها الإستجابة لمتطلبات السوق. إن إستعارة الإقتصاد الكبرى شكلت بفضل هيمنتها عمودا أساسيا في الميثاق، فهي تتيح من خلال الإستعارات الصغرى المندرجة تحت غطائها نمطا حياتيا تربويا مرغوبا، كما أن هذه العبارات استعيرت في هذا الخطاب لتأدية دلالات مختلفة، تم السعي من خلالها إلى إنشاء شبكة محبوكة الخيوط، ومتينة النسيج تصطاد الأزمات، وتسعى لتحقيق الإصلاح.

٤- **استعارة الحرب:** تمثلت في عبارات عدة وردت في الميثاق مثل: التمرس الميداني/ الرماية/ التجنيد/ الخطة/ الدولة/ القاعدة/ محاربة.... وقد تكررت عبارة "محاربة الأمية" في الميثاق وتدل على أن الأمية تشكل عدوا تجب محاربته، لكن ذلك يحتاج إلى استعداد ووسائل واستراتيجيات لذلك وجدنا كلمة "استراتيجية" تتكرر في الميثاق، وهي مستعارة من الحرب. واستخدام مفردات الحرب في الخطاب التربوي له الأثر الفعال في مواجهة الأزمات. ونلاحظ من خلال وثيقة الميثاق أن الإستعارة من الحرب كانت حساسة تركز على الجوانب البناءة والإلهامية دون الخوض في المعاناة أو الترويج للعنف. كما كانت أكثر تعبيرا ودقة في بيان التحديات والصعوبات التي تواجه الداعيين لإصلاح المدرسة العمومية.

٥- **استعارة الأزمة والمرض:** إن استعارة الازمة والمرض واردة في وحاضرة في الميثاق بقوة، وهي استعارة تضطلع بدور التشخيص حتى يتسنى معالجة الوضع للوصول إلى حل الذي يتمثل في الإصلاح. ومن نماذج ذلك: حماية/ إصلاح/ معالجة/ الحالات الإشكالية/ العناية بالحالات/ تفتق ملكات....

٦- **إستعارة التنمية:** وردت نماذج ذلك في الميثاق مثل: نموه الإقتصادي/ نهضة البلاد الشاملة/ ريادة/ نهضة/ عبر مدارج التقدم/ قاطرة للتنمية/ مرصدا للتقدم/ الرقي بالبلاد... وهي نماذج تدل على الغاية من الميثاق، أي إصلاح منظومة التربية والتكوين وجعل المدرسة قاطرة التنمية، قصد تحقيق نهضة المجتمع، وإعداد مواطن فعال ومنتج، وتزويد المجتمع بالكفاءات المؤهلة القادرة على الإسهام في نهضة البلاد، لأن الهاجس الإقتصاد حاضر وبقوة في الميثاق.

٧- **استعارة النسق والنظام:** يجب أن يراعي الإصلاح التكامل والإنسجام بين مكونات التربية والتكوين، لأن ذلك شرط أساسي للإصلاح من أجل ترشيد الجهود وتنظيمها، وتوزيع الأدوار، والمسؤوليات بشكل منظم ومحدد لضمان تكامل أدوار الفاعلين في المنظومة ككل. ومن نماذج ذلك: يشد بعضه بعضا/ انسجامها/ بشكل متماسك/ الهيكلة والتنظيم/ منسجمة/ متناسقة/ بنيان....

٨- **استعارة حقوقية:** ومن أمثلتها في الميثاق: الحق/ القانون/ حقوق الإنسان/ تدعم كرامته/ تكافؤ الفرص/ حق الجميع في التعليم/ حق الأشخاص المعوقين. والإستعارة في هذا المجال تبين أن كل المشتغلين في القطاع التربوي يخضعون إلى المساءلة القانونية، والمحاسبة، كما أن حق التعليم مكفول للجميع. إضافة إلى أن الإصلاح التربوي هو تعاقد اجتماعي لابد أن ينخرط فيه الجميع. لهذا قام الميثاق على مقاربة حقوقية قانونية، بغرض ضمان حق جميع فئات الشعب دون استثناء وفي جميع أنحاء البلاد.

https://scopmajd.com/ « ISI: (0.360) « ISSN (Online): 3005-2033

وهو مدخل حقوقي يتضمن استعارات تدل على أن منظومة التربية والتكوين يجب أن تراعي المساواة، وتكافؤ الفرص، لتكوين مواطنين واعيين بحقوقهم وواجباتهم قصد تحقيق التقدم والتنمية.

٩- **استعارة الطريق:** تمثلت في عبارات وردت في الميثاق مثل: فتح السبل/ نهج تربوي/ نهج تنمية المؤهلات/ نهج شفافة/ نفس النهج/ الممرات/ نهج اللامركزية واللاتمركز... لأن الميثاق وضع لتحديد معالم الطريق التي يجب أن تسير عليها منظومة التربية والتكوين التي تبتغي الوصول في آخر المطاف إلى تعليم جيد، وبناء جسور بين التربية والتكوين والحياة العملية. فكلمة ممرات وردة في الميثاق وهي الطرق التي تربط بين أجزاء البناء. والممرات في التعليم تعني المناهج الدراسية، التي تربط بين مختلف المواد والمستويات الدراسية. فإستعارة المفاهيم الهندسية في مجال التعليم، دلالة قوية على أهمية التربية والتكون في بناء مجتمع متماسك، قادر على إنتاج أطر مؤهلة لسوق الشغل، لتكوين إنسان الغد الذي تأمل منه الدولة تحريك عجلة الإقتصاد والمساهمة في الريادة التنموية لبلاده.

خاتمة:

نستخلص من خلال المبحثين السالفين مجموعة من النتائج:

- مفهوم الخطاب التربوي من المفاهيم التي حظيت باهتمام العديد من الباحثين دون الحسم في تعريف واحد وموحد.
- تحليل الخطاب التربوي حقل معرفي تتجاذبه عدة تخصصات حسب مرجعيتها العلمية والفكرية.
- حضور المقاربة البلاغية كمنهج فعال لتحليل الخطابات التربوية.
- ارتكاز مفهوم الإصلاح داخل الميثاق على مجموعة من المفاهيم مثل: التجديد التربوي/ التطوير/ الإنماء/ التغيير/ التحول/ النهوض بالممارسات التربوية التعليمية عبر حقول دلالية استعارت مفاهيمها من الأزمة.
- الاستعارة حسب المنظور المعرفي التجريبي تحضر في كل الخطابات ومنها الخطاب التربوي.
- المدخل البلاغي أسس لنا منظور استعارة الأزمة التي ولدت لنا استعارات اقتصادية مهيمنة مرتبطة بالجودة والانتاجية ثم استعارات حربية وبنائية وحقوقية ونسقية.
- استخدام الخطاب هذه الإستعارات ليبين لنا أن المدرسة المغربية تعاني من هشاشة في برامجها وأهدافها، وهذه الهشاشة تظهر جلية على المتعلم الذي يعاني من الفشل والتعثر في استيعاب المقررات واستكمال المسار التعليمي.
- بناء على ذلك كان لا بد لمحاربة الأزمة من بناء وتوطين معالم إصلاح حقيقي على أرض الواقع تظهر معالمه واضحة.
- إسهام هذه الإستعارات التصورية في بلورة تصور "الميثاق" للإصلاح (استعارة الميثاق)، ورسم سبل بلوغه (استعارة الطريق)، بمحاربة الاختلالات (استعارة الحرب)، وإصلاح المدرسة المغربية (استعارة الإصلاح)، مع مراعاة التكامل والانسجام بين مكونات التربية والتكوين، (استعارة النسق والنظام)، من أجل تحقيق التنمية الشاملة (استعارة التنمية)، وضمان تكافؤ الفرص واحترام حق الافراد في التعلم (استعارة حقوقية)، وتكوين مواطن فعال منفتح على محيطه السوسيو اقتصادي (استعارة اقتصادية)، عبر تسهيل ولوجه إلى سوق الشغل بمردودية وجودة عالية، لا تكتفي فقط

باقتلاع جذور الأزمة ومحاربتها (استعارة الأزمة)، بل توطين وإحداث وتجهيز شبكات عدة ومحاضن ومؤسسات للقيام بهذا الدور المنشود.

- كما أبانت عن أهمية المنظور الحديث للإستعارة، الذي يقتضي تجاوز الافكار التقليدية وفتح أفق أرحب لدراستها وتأويلها إذ تجاوز الكلمة إلى الجملة والخطاب بمختلف سياقاته.

لائحة المصادر والمراجع:

- ✓ القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
- ✓ إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، الطبعة الرابعة، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤م.
- ✓ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري، لسان العرب، المجلد الأول (د.ط) جار صادر، بيروت (د.ت).
- ✓ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري، لسان العرب، المجلد الخامس، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان.
- ✓ أوليفي روبول، لغة التربية، تحليل الخطاب التربوي، ترجمة عمر أوكان، افريقيا، الشرق، المغرب، سنة ٢٠٠٢م.
- ✓ باتريك شارودو، دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري وحمادي صمود، (د – ط) دار سيناترا، المكرز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠٠٨م.
- ✓ ترنس هوكز، البنيوية وعلم الإشارة ت ر، مجيد الماشطه، مراجع ناصر حلاوي، بغداد: دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٦
- ✓ توين فان دايك، الخطاب والسلطة، ترجمة غيداء العلي، مراجعة وتقديم عماد عبد اللطيف، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٤م.
- ✓ جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م.
- ✓ حميدة بختي، الخطاب التربوي بين الحضور والغياب في المدرسة الجزائرية، مجلة المقري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، المجلد الرابع، العدد الأول، سنة ٢٠٢١م.
- ✓ خالد صلاح حنفي محمود، أبعاد أزمة الخطاب التربوي العربي: قراءة تحليلية للمشهد الراهن، موقع أنفاس نت، ٢٠ تشرين ١/أكتوبر ٢٠١٦ م.
- ✓ دومنيك منغونو، المصطلحات المفاتيح في تحليل اخطاب، ترجمة محمد يحياتن، الدار العربية للعلم ناشرون، منشورات الإختلاف، الجزائر العاصمة، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٨م.
- ✓ الزمخشري، الكشاف، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٩٧٨م.
- ✓ سارة ميلز، الخطاب، ترجمة عبد الوهاب علوب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ٢٠١٦ م.
- ✓ سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن– السرد– التبئير)، الطبعة الثالثة، المركز الثقافي العربي للثقافة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء.

https://scopmajd.com/ « ISI: (0.360) « ISSN (Online): 3005-2033

- ✓ عبد العزيز لحويدق، نظرية الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون، دار كنوز للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.
- ✓ عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية.
- ✓ عبد الواسع الحميري، ما الخطاب وكيف نحلله؟ ط١، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م.
- ✓ فليسي أمين، ملامح العرفانية وعلاقتها بالتداولية الغرايسية، ضمن مجلة الممارسات اللغوية، العدد ٢٧، سنة ٢٠١٤م.
- ✓ ماريان يورغنسن، ولويز فيليبس، تحليل الخطاب: النظرية والمنهج، ترجمة شوقي بوعناني، الطبعة الأولى، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، ٢٠١٩م.
- ✓ محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقاته، الدار العربية ناشرون، ومنشورات الإختلاف (د – ط).
- ✓ الميثاق الوطني للتربية والتكوين (يناير ٢٠٠٠).
- ✓ ميجان الرويلي، وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سيعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، الطبعة الثالثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٢م.
- ✓ نعمان بوقرة، المصطلحات الاساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ط١، عالم الكتب الحديث، جدار للكتاب العالمي، عمان، الأردن.